تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية ISSN 2571-9821
المجلّد: 04 العدد: 01 السّنة: 2020 ص: 110- 126

التجديد في الشعر الجزائري خلال الثورة التحريرية الموضوعات والصيغ الشعرية.

The renewal of Algerian poetry during the editorial revolution, poetic themes and formulas

د. عثماني بولرباح.*
ط.د. نارة المختار†.

تاريخ الاستلام: 14/ 01/ 2020 تاريخ القبـول: 16 / 06/ 2020

الملخص:

يعد الأديب مرآة المجتمع وابن عصره، والمتصفح للأدب الجزائري يجده نابعا من حياة المجتمع الجزائري فساير ما فيه خصوصا في الحقبة الزمنية التي وافقت الوجود الاستعماري وخاصة اندلاع الثورة التحريرية، فمعها كان الشعر قد دخل في مرحلة حاسمة جديدة مرحلة الثورة والانطلاق والتعبير بالقوة والدم عن مطالب الشعب، فالثورة المشتعلة كانت في حاجة إلى صوت يدفع شعاراتها، ويدعو إلى الالتفات حولها وتهيئة الجو المناسب لاستمرارها واتساعها وفق مواضيع جديد وأغراض تتماشى والجو العام وبصياغة حرة ومتينة تعالج القضايا الثورية وتدعمها.

الكلمات المفتاحية: التجديد، الشعر، الجزائري، الموضوعات، الصيغ.

Abstract:

The writer is the mirror of society and the son of his time, and the browser for Algerian literature finds it stems from the life of the Algerian society, so what happened in it especially in the time period that approved the colonial existence, especially the outbreak of the liberation revolution. The burning revolution was in need of a voice that pushed its slogans and called to turn around and create the appropriate atmosphere for its continuation and expansion according to new issues and purposes consistent with the general atmosphere and in a free and solid formulation that addresses and supports revolutionary issues.

Key words: renewal, poetry, algerian, themes, formulas.

مقدمة:

يعتبر الشعر الجديد ظاهرة أدبية تجاوز فيها الشعراء التجريب في الأشكال، إلى تحقيق الانسجام بين الشكل والمضمون، ولا شك أن ظهور الشعر الجديد في الأدب الجزائري الحديث أثناء الثورة مرتبطا أشد الارتباط بالتغير الذي طرأ على الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، بعد الحرب العالمية الثانية لأن الحركة الأدبية ذات صلة وثيقة بتلك الاوضاع،

*bouotmani@gmail.com

† m.nara@lagh-univ.dz

نتيجة تأثر الشاعر بظروف مجتمعه وما يعانيه من ويلات المستعمر، فاستلزم التغيير والتحول في الميدان السياسي، تغيرا في القصيدة الشعرية بإيقاع سريع يتلاءم مع الأحداث السريعة التي تتعاقب في فترة الثورة، ويركز على تحكيم المضامين المتنوعة. هذا ما حدى بنا بلهفة مشرقة وحيرة محدقة إلى التساؤل: ما الجديد الذي أتى به شعراؤنا إبان الثورة المجيدة وكانوا فيه متفردين عن غيرهم؟

هل استطاعت لغة الشاعر الجزائري الجديد إبان الثورة وصوره أن تنقل لنا الجو الذي غلب على القصيدة في الرغبة في النهوض والتحسر على الحال الأليمة التي ألمت بالوطن الجزائري الوطن المنكوب؟

هل غلب على الشعر الجزائري إبان الثورة طابع التفرد في الموضوع من خلال اشتغال الشعراء بموضوعة الثورة والحماسة أم أنهم عددوا في المواضيع المطروحة وتناولوا قضايا مختلفة ؟

1- التجديد في الشعر الجزائري إبان الثورة من ناحية الموضوعات الشعرية:

1-1 الثورة ومعالمها مضمون جديد في الشعر الجزائري

لم تعد الثورة على الوضع السياسي الذي تعيشه الجزائر وقفا على هذا الميدان فحسب، بل لقد انسحبت على الفكر والمجتمع والاقتصاد، فأصبح الشعر وسيلة هامة في وصف الأحداث وإيقاظ الهمم والدعوة إلى النهوض والتحرر.

"إن الشعر الجزائري... قد أرهص بالثورة، وتكهن بها، بل ودعا إليها... بصراحة... في أغلب الأحيان الأخرى ".[1]

فكان الشعر نضالا ومقاومة قبل أن تتخذ الثورة شكلها المنظم في نوفمبر 1954م وهذا التنبؤ المبكر لدى الشاعر راجع إلى حسه المرهف ورغبته المتأججة في التغيير والتطور والتحرر وهذا نتيجة سخطه على الحالة المتعفنة التي ألقى ببراثنها الاستعمار الفرنسي.

"إن الشعر استمد من الثورة قوة حقيقية لم تأت من فراغ أو خيال عابر فالخيال لا يكون أبدا بجانب الشعر، وقد كان كافيا للشعر إزاء الثورة أن يستلهم الواقع، ويكفيه رضى أن يرقى إلى روعة هذا الواقع ".[2]

وأول حدث استدعى اهتمام الشعراء وعد معلما للثورة هو أول نوفمبر، فقد كتب "أبو القاسم سعد الله" عن مجيء ليلة نوفمبر بعد أن كانت حلما بالتحرر من أغلال المستدمر الأجنبي، والنهوض من سبات الذل والهوان، يقول فيها:

كان حلما واختمارا

كان لحنا في السنين

كان شوقا في الصدور

أن نرى الأرض تثور

أرضنا بالذات أرض الوادعين

غير الليلة الغراء شفت عن بطولة

والنداء الحر قد هز الرجولة

ويقول عنها أيضا " **محمد صالح باوية**" واصفا إياها بساعة الصفر التي كانت ميلاد اليقظة والنهوض من طرف الشعب الجزائري الأبي:

وإذا رعد الشفاه السود

يرمي طلقة الصفر

فتنساب الدقيقة

... وإذا البارود عربد

والذرى حولي تردد:

ساعة الصفر انفجارات عميقة

يقظة الإنسان

ميلاد الحقيقة. (3)

لقد كان الشعر أثناء الثورة وظيفة سياسية قبل أي شيء آخر، فكان يسارع إلى مواكبة الأحداث الساخنة، ويعبر عن الانتصارات المتوالية للثوار الجزائريين ضد الاحتلال الأجنبي، وبالتالي أصبح ذا طابع حماسي ثوري يشتعل بلهيب الثورة، معبرا عنها في كل حالاتها.

وفي هذا المضمار يقف الشاعر "**عبد السلام الحبيبي الجزائري**" عند حادثة مقتل **علي شكال** على يد الفدائي "**محمد بن الصادق**" يقول:

خذها ودمدم من مسدسه رصاص

خذها، فقد حان القصاص

الويل لك

يا خائن الشعب الجريح

لن تستريح

حتى تموت

سأقتلك

باسم الوطن

باسم الجموع الزاحفة. (4)

فيعبر الشاعر على لسنا الفدائي عن روحه الوطني، وحبه لبلاده وشجاعته في تحدي كل من يقف عائقا في وجه حريتها.

إن الشعر أصبح مع الثورة يحمل مفهوما ثوريا يحمل صدى الثورة في نفوس الشعب الذي عبر بكفاحه الدامي عن إخلاصه لوطنه، هذا الإخلاص والتفاني الذي يبدو في شعر الثورة كأنه مرآة صافية لكفاح الشعب مواكبا أحداثه، ومسجلا مواقعه تسجيلا صادقا من عفوية الثورة وعمقها في نفوس ثوارها المؤمنين بحقهم في الحرية.

2-1 الوطن: "جزائرنا يا بلاد الجدود * نهضنا نحطم عنك القيود"

لقد كانت ولا تزال الجزائر الأمم العريقة تاريخيا وحضارة ومنبعا للإلهام رغم مأساتها الاستعمارية التي خلعت عنها مفاتنها وجمالها وجلالها، فإذا ما بحثنا عن هذه المفاتن في الشعر الجزائري الحديث نجدها انعكاسا يخيم عليه الضباب والسواد ويتضح في كتاباتهم الإحساس العميق بالمأساة في وطنهم وعن وطنهم **" ويوم امتزجت الطبيعة الساحرة في الجزائر بالمواقف البطولية الرائعة ازداد الشعر افتنانا بهذا الوطن حتى كدت تفقد منظرا من الطبيعة لا تعلوه مسحة ثورية "**. [5]

والطبيعة في الجزائر خلابة الجمال، تدفع الشعراء والفنانين إلى عشقها وتحريك أحاسيسهم ليتغنوا بها، فهذا الشاعر **"محمد الأخضر السائحي"** يعبر عن افتتانه بمدينة بجاية حين زارها متأثر بجمالها ورقتها في سهولها وجبالها ووديانها:

حياك الواد، حياك البحر

حيتك قلوب

في قمم الجبال

في منعطف السهل

في واديك،

وجدت نور الله،

يكسوا القمم الخضراء. [6]

وهذا الجمال ما جعل الشاعر المغترب يحس أكثر بلوعة الاغتراب وبالشوق إلى الديار والأتراب "فيذوب في هذا الوطن حتى يصبح هو الوطن، والوطن هو، وتزول الثنائية القائمة على وجود الوطن وعشاقه على طريقة العشق الصوفي "[7]

يقول "**عبد العالي رزاقي**" مؤكدا على حبه لوطنه رغم ما يقاسيه من وحدة واغتراب وعذاب :

في كبوة انتحار

يمتد ظلي... أتنفس دخان الغارقين في بحيرة اغتراب

أبحر عبر رحلة الميلاد والموت لأهتف أمام الله والإنسان والتراب

-أحبها

- سوف أبقى دائما أحبها

وغارقا في حبها

جزائر.

ويصور لنا هؤلاء الشعراء مع حبهم للوطن معاناة شعبهم من الظروف القاسية نتيجة اضطهاد الاستعمار وظلمه الدامي، فهذا" **الأخضر السائحي**"

يتحدث عما أصاب الشعب من فقر ومرض وحرمان فهو شفيق عليهم محبا لهم لأنهم ينتمون لوطن واحد وحبه حب وطن ومن وطن ولوطن واحد اسمه الجزائر

فقال إلى الأم:

-ماذا هناك؟

- فتاة تعاني السعال وهذا أخوها يئن

وهذا الرضيع بثدي يمص العذاب

فقال: وهل تصنعين الطعام؟

- **وأين الطعام؟**
- **سأرقب حتى الهزيع إلى أن يجيئوا**
- **ومن ذا يجيء؟**
- **ثلاث صغار وشيخي الكبير.** [8]

ليبقى الوطن حبا وشجنا ولوعة مدى الزمن.

3-1 الحرية:

انطلق الشعراء إبان الثورة في قصائدهم ينادون بالحرية وينشدونها، وإذا تعمقنا في مفهوم الحرية آنذاك نجده هو المفهوم السياسي أي التحرر من الاستعمار الفرنسي وتكوين الدولة الجزائرية المستقلة ورفض الاندماج في الهوية الفرنسية واسترداد الهوية الوطنية المسلوبة بكل ما تحمله من مقومات، وهم في ذلك يعبرون عن تعلق الشعب الجزائري بحريته وبمحتوى هذه الحرية دون تجزئ " **فالجزائر للجزائريين**" أبدا الدهر يقول أبو القاسم سعد الله مبينا أن الحرية نفيسة لا تأتي سهلة بل هي تضحيات وكفاح :

من اللهب الأزرق

ومن حمرة الشفق

ولون الدم المهرق

سيصحو الربيع

وتزهو الورود العذارى

عن كل درب

وفي كل قلب

تماثيل فخر

وتيجان حب إلى الشهداء

****

ومن أغنيات الرصاص

ودقات قلب الجريح

وآمال فرحتنا الدافقة

سيصحو الربيع

وتشدو الطيور

أغاريدها الساحرة

إلى الصامدين

فتهتز للنغمة الآسرة

قلوب تذوب

حنينا وشوقا

إلى فجرها الصاعد

إلى مجدها الواعد. (9)

وفعلا صحا الربيع وتحقق النصر وزال الضباب المخيم على الجزائر، فابتهل الأحرار.

كما نجد شاعرنا أبو القاسم خمار يعبر في قصيدة له عن المواقف البطولية التي تؤكد عزم الشعب لنيل الحرية، فلا تراجع ولا خذلان وأن النصر حليف الشعب الجزائر، يقول:

ثرانا وكان الليل معتكرا ونار الغيظ تزفر

والرب أشلاء مبعثرة وأحقاد تزمجر

للانتقام المر للتطهير للفجر المظفر

أرواحنا ودماؤنا تفديك يا شمس التحرر

الشعب بركان يدك الراسيات إذا تفجر

الشعب إعصار الوجوه إذا تمرد لا يفكر

يا ويح من زلت به قدماه فينا أو تعثر

يا ويح أعداء الشعوب إذا الشعوب مضت لتثأر

سيري عروبتنا على إشراق وحدتنا المؤزر

سيري فإن مبادئ الأحرار لن ترضى التقهقر

وهج الدماء يفور من أعراقنا شررا وينفر

تحيا الجزائر حرة عربية الله أكبر. [10]

بهذه العزائم الصاعدة، وبالطلع النفوس الأبية من هذا الشعب للحرية بلهفة مشرقة وحيرة محدقة نال الوطن استقلاله وتمتع الشعب بالحرية التي ينعم بوجدانها ويترع في حنانها.

4-1 الحب

يكاد الباحثون في الأدب الجزائري الحديث يتفقون على قلة الشعر العاطفي فيه بالنسبة للشعر الوطني والديني، ويفسر ذلك بعاملين اثنين: المأساة الاستعمارية والتقاليد القومية. [11]

على أن هناك عوامل ثانوية نفسية واجتماعية وطبيعية راجعة إلى قسوة الحياة والمجتمع والطبيعة على الفرد الجزائري، وإن وجدت ثم محاولات فهي خجلة مستحية من الخوض في هذا المجال الشعري، ولكن الشعراء الشباب الذين هاجروا إلى المشرق قد غيروا الموازين وكتبوا الشعر العاطفي متأثرين بالمشارقة لكن تجربتهم الشعرية مرهونة بالوطن وبحب الوطن، بحب الحرب "وليس هذا وجه الامتياز في شعرهم، بل إن الامتياز... هو ربطهم هذه التجربة بتجربة شعبهم ونضاله الجبار من أجل الحرية، ربطوا الحب بالحرب والثورة، وربطوه بعواطف شعبهم، ووفوا لأنفسهم وشعبهم". [12]

والشعر العاطفي في مرحلة الثورة كان خالصا للحب وحده متفانيا فيه، وفيه يقول "**عبد العالي رزاقي**" معبرا عن ألمه واشتياقه لحبيبته التي هجرته وتركته وحيدا بعد ما تعود على رؤيتها، ليس هي فقط بل والعصافير أيضا ترحل لغيابها:

أنقل الخطوة تلو الخطوة الأخرى

يمر العاشقون -الآن- مثنى

وأنا وحدي على الدرب...

ووقع الخطو الأولى على قلبي لا يحتمل

الصمت...

فقومي عانقيني

العصافير التي كنت تحبين

أراها تهجر الأعشاش كي تسكن قلبي. [13]

ويبدو أن بداية الثورة لم تكن نقطة تحول في طريقة الكفاح السياسي إلى مسلح فسب بل كانت أيضا انقلابا على التفكير الجامد والنظرة الضيقة للفن والأدب، ومنه إلى الشعر العاطفي الذي أصبحت من **خصوصياته "النظرة ذات الجانب الواحد أي التي تنظر إلى المرأة باعتبارها حبيبة فقط".** [14]

تتضمن هذه النظرة نمطين ، نمط ينزع إلى التعبير عن أحاسيسه ومشاعره بعيدا عن الوصف المادي، وهذا ما نلاحظه في شعر **"خمار"** ونمط آخر ذو نظرة عاطفية تتغنى بالمفاتن الجسدية كأشعار **"السائحي"**[15]

أما قصائد "سعد الله" فكانت خالصة للحب وحده، خالية من المزاوجة مع الشعر الثوري، مائلة إلى الرقة والعذوبة في ألفاظها وأسلوبها، بعيدة عن خشونة وقسوة الثورة، فهي صلاة وابتهال:

وجدي هنا

في صورة قلبي لها صندوق سر

مغلقا، محجبا إلا لها

في صورة كلوح عبقري

كطلعة النبي

مرسومة دوما تجاه ناظري

أعماقها رحابة الوجود

ألوانها منى مزخرفة

... لها عينان منبعا غرام

أغوص فيهما إلى الأعماق

لكنني ظمآن دائم

****

يا صورتي

أنت المثال الصارخ القيم

في خلوتي

توحين لي أن أعبد الجمال

وأن أضل في المحراب

مسمر العينين... تائه الخيال

أنت تحملين... تلهمين

قديسة على أرجوحة خضراء

ترتل الغناء والأشواق. (16)

أننا إذ تصفحنا ديوان **"أبي القاسم خمار"(أوراق)** الذي قدمه لنا بدون مقدمة، نجده لم يفته أن يعالج من خلال الأبيات بعض القضايا الفنية التي اتسعت لها مقدمات الدواوين الاخرى فخمار هو الآخر لا يطلب لشعره أبعد من الصدى الصادق المعبر عن الثورة، وهو يخجل أن تقصر يده عن هذا الطلب أو أن يقعده شعره عن ها المطمح العزيز الجانب، فليست كل الأشعار قادرة على أن ترقى إلى صعيد المدفع والرشاش وإذا تراجعت دون صوتهما المدوي أو تلعثمت في وجه طلقاتها المارقة، فهو خجلة الشعر والكلمة. (17)

ولعل الشعر في نظر خمار لا يبعد أن يكون ضجيجا في بعض المواقف حيث يقول:

لا بشرى لي، زحفا مواكبنا، وصمتا يا ضجيج

حتى يوحدنا الكفاح من المحيط إلى الخليج

أما بالنسبة للحب مدار بحثنا فنجده قد كتب قصيدة بعنوان **"أغنية للشوق"** من ديوان **"أوراق"** حيث يقول فيها:

تاه تاها، لما رنت مقلتها

فيها هواها، فصاح ثم تنهد

فتنته إذ لحنت شفتاها

مبسم السحر فاستهام بموعد

أين ألقاك؟ لم يكن بفتاها

فأشارت إلى النجوم فأنشد

أنا حظي من الرياض شتاها

أنا يا دهر للشقاوة موفد

****

يا حبيبي وأنت أعلم مني

بمكان أراك فيه قريبا. (18)

5-1 المرأة

بطولة المرأة الجزائرية في الثورة، وفي الشعر الثوري، تتخذ أوجها متعددة وأسماء مختلفة تجاوبا مع أدوارها في هذه الثورة وبطولتها، نابعة من جنس توارثناه ضعيفا، وثورة من عنصر حكمت عليه التقاليد بالتقاعد المزمن، وإذا تلمست ملامح المرأة الثائرة في الشعر وجدتها أما تتلقى برقية استشهاد ابنها في الجبل باعتزاز وفخر، وتحتضن أطفاله الصغار هاتفت هتافه قبل أن يلفظ أنفاسه: "**المجد للوطن**" وليست بالأم المترفة الناعمة ولكنها الفخورة بفقرها الشريف وحياتها القاسية العاصفة التي أثارها التحاق ابنها بالجبل، يقول "سعد الله"(برقية من الجبل):

وفضت الغلاف في اضطراب

أنامل معروقة سمراء

تفوح بالدهان والعرق

وكان وجهها خطوط

وقلبها بخور

وشعرها خميلة جرداء

"برقية من الجبل"

وتمتمت

استشهد الصديق

"محمد بطلقة صماء"

إذ كان في اشتباك

يطارد الأعداء

وقال في احتضاره:

المجد للوطن

ومدت اليدين في الفضاء

وفي العينين دمعتان من لهب

وثرثرت بصوتها المخنوق:

"المجد للوطن"[19]

6-1 شعر السجون

من جملة الظواهر التي ظهرت إبان الثورة التحريرية وأخذت بعدا قويا شعر السجون، والتي عبر عنها العديد من الشعراء وبخاصة الذين ذاقوا محنة السجن في هذه المؤسسات القمعية، من خوف وقلق وألم وعذاب وشوق وتحدي، ومن أمثلة هذا الشعر المصور للقلق النفسي قول الشاعر الكبير أحمد سحنون:

أيها المعبد ما أعظم صبرك
أنت قبل الموت قد أودعت قبرك
أنت لا تشكو لغير الله أمرك. [20]

يعبر الشاعر عما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس، وما ينتابها من ضيق، وقلق وتبرم من أوضاع السجن التي لا تطاق، داعيا الله أن ينصر وطنه قائلا:

أرى السجن خنقا للمواهب والنهى * فكيف يطيق الحر في ظله مأوى**
تلم به في اليوم أخيلة الحمى * وتنتابه في الليل أطياف من يهوى**
فيمضي بياض اليوم بالهم والأسى * ويمضي سواد الليل بالبث والنجوى** [21]

وتمثل ظاهرة العذاب التي يعاني منها المساجين بؤرة أساسية، فإنه من خلال التمعن
في بعض الأشعار التي نظمها الشعراء في وصف تلك الظاهرة، يمكن الوقوف عند جملة من العوامل أبرزها حياة الاضطراب والحرمان العاطفي، والضعف البشري، والخوف على النفس، وهذه بدورها تؤدي إلى فقدان الحرية الفردية والجماعية، وإلى تأجج الهواجس وإثارة الألم، ويعتبر الشاعر أحمد سحنون في عداد الشعراء الدين عبروا في أكثر من قصيدة عن ظاهرة الألم والعذاب، إذ يقول شاكيا ألم الغربة عن الوطن رغم أنه في ربوعه لكنه رهن السجن والمنفى:

يا لها غربة عن الأوطان □ نبهت ما غفا من الأشجان
غربة ضوعفت بنفي وسجن □ وتناهت بقسوة السجان
شل فيها فكري وأجدب □ إلهامي وأودت بحكمتي وبياني
يا لسخف الإنسان حين نراه □ يتحدى الأفكار بالجدران [22]

يصف لنا الشاعر مفدي زكريا، الذي عودنا في شعره بالتحدي للسجن والسجان- لحظات العذاب والألم- حين يسبح بخياله نحو العلياء، ومن حوله وفق رؤيا وانبجاس فيقول:

أرى بها من "بربروس" خياله □ وهفت به كماكم الأحلام
غنى بها في الليل يعزف لحنها □ ووقع السلاسل... والرفاق نيام
والقلب بالأنات يقطع بحرها □ دقاته: الأوزان، والأنغام [23]

إن في السجن وحده يصطدم الإنسان بأعسر امتحان، حيث يسلب منه أعز ما يملك وهي الحرية فقد يصبر المرؤ على التعذيب وهو فضيع ويتحمل الإهانة وهي مؤذية، ويتحدى السجان وظلمه ولا يستسلم له ، مهما اشتدت وطأته وتعاظمت أهواله.

2- التجديد في الشعر الجزائري إبان الثورة من ناحية الصياغة والشكل الشعري.

2-1 التجديد في الموسيقى الشعرية إبان الثورة التحريرية:

إن الايقاع الموسيقي في العمل الشعري يعد من أهم العناصر التي يعتمد عليها هذا الفن، إن الموسيقى الشعرية في الشعر الجديد أكثر الظواهر الفنية بروزا وأشدها ارتباطا بمفهوم التجديد في الشعر وذلك لأن العلاقة بينه وبين الموسيقى علاقة أساسية دفعت الشعراء إلى اعتبار التجديد في الشعر يرتبط أساسا بالتجديد في موسيقاه إلى حد أنهم تصوروا معه بأنه لا يمكن أن يكون هناك تجديد في نواحي القصيدة مالم يشمل التجديد الشكل الموسيقي العام للقصيدة .

ترى كيف كان موقف شعرائنا من هذه القضية؟

- إن من أبرز ما يلفت النظر في الشعر الجديد هي الحملة التي شنها الشعراء ضد القافية، إذ أصروا على تنويعها وحريتهم في التصرف فيها حسب ما تمليه عليهم قرائحهم الشعرية. لا حسب ما يمليه العرف السائد في الشعر القديم من تقيد بالوزن والقافية التي لم تعد في نظرهم سوى قيد يكبل قرائحهم وأول من طبق هذا على شعره هو "أبو القاسم سعد الله" في قصيدته الرائدة "طريقي" التي كتبها على نظام التفعيلة:

يا رفيقي
لا تلمني عن مروقي
فقد اخترت طريقي
وطريقي كالحياة
شائك الأهداف مجهول السمات
عاصف التيار وحشي النضال
صاخب الأناة عربيد الخيال. (24)

حقا إن الشاعر كسر قيد القافية فنوعها لكنه التزم نظام خاصا مال به إلى توحيدها بين كل سطرين كما هو واضح.

وإذا كان الإيقاع متعلقا بالقافية، فإن الشعر الجديد لم يقف عند حد كسر القافية والتمرد عليها فحسب، بل تعدى إلى إخراج شعر جديد من ناحية الموسيقى الشعرية للقصيدة، والمنبعثة من تكرار كلمة واحدة في بداية كل سطر أو نهايته، لتكون صدى وتأكيدا للمعنى والفكرة المعبر عنها كما فعل "**سعد الله**" في قصيدته "**الثورة**" التي كرار فيها (كان) في بداية ثلاث أسطر:

كان حلما واختمارا

كان لحنا في السنين

كان شوقا في الصدور. (25)

وأحيانا يلجأ الشعراء إلى تكرار حروف معينة مثل الحروف الصائتة ذات الجرس القوي المواكب للحالات الانفعالية المتفجرة لدى الشعراء كما يتضح ذلك في قول "**محمد الصالح باوية**" :

يا زغاريد اعصفي
يا هتافات اقصفي
مزقي طيف الحدود اللاهثات

طوفي بالأفق ...

طيري...

حطميه...

حطمي حلم الطغاة المرهق

خضبي الإنسان والأعشاب بالنصر الخصيب

المشرق.[26]

كما أن المتأمل في الشعر الجديد إبان الثورة يجد أن شعراءنا تجنبوا استخدام الأوزان العربية المزدوجة، وفضلوا عنها البحور الصافية وهي ذات التفعيلة.[27]

وذلك لعذوبة موسيقاها وسهولة التعبير بها.

ومنه فإن شعراءنا قد أخرجوا لنا شكلا موسيقيا جديدا خرجوا به من اطار موسيقى الشعر العمودي وزنا وقافية، ويعتمد الشعراء أكثر على تفعيلة الرمل "فاعلاتن" أكثر من غيرها لأنها مواكبة للثورة في أصواتها وهزاتها الزلزالية مما يؤكد صلة مشاعر وأفكار القصيدة بالتشكيل الموسيقي.

وأحيانا يلجأ الشعراء إلى المزج بين البحور. **" وهو نمط يتجاوز تعدد الأوزان بتعدد المقاطع، إلى امتزاج وزن بآخر".**[28]

وفي الأخير يمكن القول أن مجددينا أخرجوا لنا شعرا موسيقيا جيدا، عنوا فيه بالناحية الموسيقية فنوعوا في القوافي وتفننوا في الأوزان حسب مزاجهم الخاص، غير أن التقنين والتقعيد لهذا التنوع الموسيقي لا ضابط له لأنه تنوع لا تحكمه قوانين فنية محدد.

2-2 التجديد في اللغة:

دعا "**رمضان حمود**" صراحة إلى التحرر اللغوي قائلا: **" أجهدوا أنفسكم في درس لغتكم، في فهم أسرارها، في تدقيق معانيها، في إتقانها غاية الإتقان، فإذا تم لكم المراد، واستحوذتم على جانب وافر منها، أنبذوا عنكم كل صلة بينكم وبين ماضيها، اجعلوها وسيلة إلى نيل مآربكم لا غاية لا تتجاوزونها، غيروا، فننوا وسعوا، أصلحوا، فإنكم بذلك تكونون عصرا مستقلا منيرا ذا ميزة على غيره... ".**[29]

لقد أثرت الثورة تأثيرا بليغا على لغة الشعر الجزائري الحديث فكانت الألفاظ مجسدة لمناظر الحرب تجسيدا يكاد يكون واقعيا، فنجد الشعراء أمثال **"أبي القاسم سعد الله" و"محمد الأخضر السائحي" و "أبي القاسم خمار"** وغيرهم من المجددين قد أدخلوا إلى قاموس الشعر الجزائري الحديث مفردات جديدة تتناسب والموضوعات الثورية مثل الدم، اللهيب، الدمار، الطغيان، وفق تراكيب متنوعة جماليا. يتجلى هذا في قصيدة **"أبي القاسم خمار" "منطق الرشاش":**

لا تفكر... لا تفكر...

يا لهيب الحرب زمجر... ثم دمر...

في الذرى السمراء من أرض الجزائر... لا تفكر

مزق الأحياء... أشلاء... وبعثر...

حطم الطغيان... كسر...

وانشر الإرهاب... والنيران... أكثر

ثم أكثر...

وإذا ناداك غر... فتحجر...

وتمرد... وتكبر... لا تفكر...

سوف تظفر...

قوة المدفع... والرشاش... أكبر. (30)

ومما يلاحظ على اللغة آنذاك أنها كانت قريبة من جدا من الحياة اليومية إلى درجة أننا لا نكاد نفرق بينهما، لأنها تعبر عن إحساس جماعي مشترك، كما يتوضح في قصيدة " **أبي القاسم خمار**"

جزائر... جزائر

جبال جزائر

نشيد الوغى والبشائر

على أرض إفريقيا

يغنيه ما دب فيها وهب

يغنيه شعب العرب

نضالا... ونجدة

طموحا... ووحدة

سلاما ... وحب. (31)

و من هنا نلاحظ أن اللغة السائدة في الغالب في مثل هذا الشعر هي أقرب إلى الدارجة والاستعمال اليومي، لأنها لغة مخلوقة من التجارب وناتجة عنها لا داخل للقاموس اللغوي في وجودها.

3-2 الرمز في الشعر الجديد:

يعتبر الرمز من أشد الظواهر الفنية بروزا في الشعر الجزائري إبان الثورة المجيدة، نتيجة الظروف الصعبة ما يدفع الشعراء إلى استخدام الرموز تمويه وقناع وتخفي، فمثلا يستعمل الغول والأخطبوط للاستعمار الفرنسي والشمس للحرية والأزهار للأمل والنار للثورة....ألخ.

ومنها قصيدة "**أبي القاسم خمار**" التي يرمز فيها للاستعمار بالأخطبوط والفيضان قائلا:

بوجه كلون الشارع

وعينين البحر

تسلل كالأخطبوط الشقي

بألف ذراع يهرول خلف الضباء

ويجتاح كالفيضان السكون

على الشاطئ المقمر المطمئن. (32)

ونجد أن المرأة صارت رمزا للوطن كما فعل "**عبدا العالي رزاقي**" في قوله:

في كبوة انتحار

يمتد ظلي... أتنفس دخان الغارقين في بحيرة اغتراب

أبحر عبر رحلة الميلاد والموت لأهتف أمام الله

والإنسان والتراب:

أحبها

وسوف أبقى دائما أحبها

وغارقا في حبها. (33)

وقصيدته " **الوقوف أمام الجنازة**":

لعينيك أهدي قصائدي

من أين أدخل؟

كل الشبابيك مغلوقة والنوافذ مفتوحة

للذي يستحي أن يقول " مشيت أمام الجنازة"
سأبقيك جراحا على الصدر
حين أضمك أثناء كل حضور. (34)

كما أن للمجددين ميل واضح إلى توظيف الشخصيات والأسماء البطولية المعروفة في المجال الثوري وهذا ما فعله الشاعر" **عبدا العالي رزاقي** " في قصيدته التي استنجد فيها برمز الحرية ونضال الشاعر الإسباني **(لوركا) "رسالة خاصة إلى الشاعر الإسباني لوركا"**

لوركا
علمني كيف أصرخ من أعماقي باسم الحق الضائع
كيف أحارب في صف الإنسان الجائع
أدركني إني أغرق تحت رأس ببئر القرن السابع
اسمعني نغمة حب
لا تتركني وحدي. (35)

نتائج البحث:

كانت الصياغة عند شعرائنا في الغالب حسب دراستي المتواضعة تمتاز ببساطة في التعبير وسهولة في اللفظ، وعمق في الطرح وإخراج موفق للفكرة بعيدا عن الغموض والإبهام، وهذا ما يبرز قدرتهم على الصياغة والابتكار والتفوق الفني في كثير من الأحيان.

وكوقفة أخيرة يمكننا القول:

* أن الشعراء الجزائريين المجددين تغنوا بالوطن والثورة وارتفعوا بهما إلى مراتب التقديس، كما لجأوا إلى تجاربهم الذاتية المثقلة بالعواطف وقد ألهمتهم صور خيالية منحت أشعارهم الحيوية.
* ومن الناحية الفنية فقد جددوا أساليب التعبير ونوعوها، وسخروا اللغة الشعرية لتصوير عواطفهم المتدفقة في النفوس، فأتى اللفظ موحيا للمعنى لما فيه من رقة وعذوبة ووضوح متجنبين في ذلك التراكيب القديمة الجاهزة.
* أما بالنسبة للموسيقى الشعرية فقد وفر المجددون لأشعارهم موسيقى عذبة، فاهتموا بالموسيقى الداخلية التي تصدر من رقة الصياغة وانسجام الألفاظ، كما اهتموا بالموسيقى الخارجية التي تولدها الأوزان العروضية حتى تنسجم مع الموضوع . أما استخدام الرمز فلم يكن استخداما مكثفا يبعث على الغموض أو الابهام كما هو معروف عند شعراء المشرق، بل كان رمزا يعتمد على المجاز التشبيه الكفيل بإيصال الأفكار والابتعاد عن النماذج التي يستعصي فهمها
* يمكن أن أقول غير متعسفة في حكمي أن الشعر الجديد إبان الثورة لم ينل قسطا كبيرا من الاهتمام وذلك نظرا للظروف التي كان يعيشها الأدب الجزائري من الاضطهاد والتهميش وهذا هو الدافع الحقيقي لتوجه الشعراء إلى الشعر الشعبي للتنفيس عما كانوا يشعرون به من ظلم واضطهاد.

على الرغم من اشتعل لهيب الثورة وما نتج عنها من ظلم وقهر واستبداد للأديب الجزائري، إلا أن ذلك لم يمنعه من إعلاء كلمته والتعبير بقلمه كبديل عن الرشاش، ولم تمنعه الظروف أيضا من طرق مواضيع مغايرة للثورة وغير منفكة عنها: كموضوع الحب، والمرأة وغيرها...

المصادر والمراجع:

- **عبد الله الركيبي**: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1962.
- **صالح خرفي**: - شعراء من الجزائر، مطبعة المعرفة، القاهرة، مصر، ط1، 1969.
- **محمد صالح باوية:** أغنيات نضالية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971.
- **-أبو القاسم سعد الله**: دراسات وبحوث في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1966.
- **عبد القادر السائحي:** اقرأ كتابك أيها العربي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971.
- **شلتاغ عبود:** حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1985.
- **عبد القادر السائحي:** الكهوف المضيئة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983.
- **أبو القاسم سعد الله:** الزمن الأخضر، ديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1985.
- **-محمد أبو القاسم خمار:** أوراق، ديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1982، ص 18-19.
- * **- أحمد سحنون**: الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
- * - مفدي زكريا: اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1991.
- * **- رمضان حمود:** بذور الحياة، مكتبة الاستقامة، تونس، ط1، 1928.
- * **- أبو القاسم خمار:** ظلال وأصداء، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982.
- * **- عبد العالي رزاقي**: الحب في درجة الصفر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1977 .

الهوامش:

[1]- **عبد الله الركيبي:** دراسات في الشعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 64.

[2]- **صالح خرفي:** الشعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 233.

[3]- **محمد صالح باوية:** أغنيات نضالية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971، ص 50-51.

[4]- **أبو القاسم سعد الله:** دراسات وبحوث في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 46.

[5]- **صالح خرفي:** الشعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 253.

[6]- **عبد القادر السائحي:** اقرأ كتابك أيها العربي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971، ص 41.

[7]- **شلتاغ عبود:** حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1985، ص 102

[8]- **عبد القادر السائحي:** الكهوف المضيئة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983، ص 54-55.

[9]- **أبو القاسم سعد الله:** الزمن الأخضر، ديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1985،ص 279-280.

[10]-**.محمد أبو القاسم خمار:** أوراق، ديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1982، ص 18-19.

[11]- **أبو القاسم سعد الله:** دراسات وبحوث في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 71.

[12]- **عبد الله الركيبي:** دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 88.

[13]- **أبو القاسم سعد الله:** دراسات وبحوث في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 46.

[14]- **شلتاغ عبود:** حركة الشعر الحر في الجزائر، مرجع سابق، ص 109.

[15]- **المرجع السابق، ص 110.**

[16]- **أبو القاسم سعد الله:** الزمن الأخضر، مصدر سابق، ص 333-334.

[17]- **صالح خرفي:** الشعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 229.

[18]-.**محمد أبو القاسم خمار:** أوراق، مصدر سابق، ص 79.

[19]- **أبو القاسم سعد الله:** الزمن الأخضر، مصدر سابق، ص 239-240.

[20]- **أحمد سحنون**: الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 154.

[21]- المصدر السابق، ص 161.

[22]- المصدر السابق، ص 161.

[23]- مفدي زكريا: اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1991، ص 52.

[24]- **أبو القاسم سعد الله:** الزمن الأخضر، مصدر سابق، ص141.

[25]- **المصدر السابق، ص 32.**

[26]- **محمد صالح باوية:** أغنيات نضالية، مصدر سابق، ص 61.

[27]- **محمد ناصر:** الشعر الجزائري الحديث، ص 249.

[28]- **شلتاغ عبود:** حركة الشعر الحر في الجزائر، مرجع سابق، ص 149.

[29]- **رمضان حمود:** بذور الحياة، مكتبة الاستقامة، تونس، ط1، 1928، ص 121.

[30]- **أبو القاسم خمار:** ظلال وأصداء، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص 63.

[31]- **أبو القاسم خمار:** ظلال وأصداء، المصدر السابق، ص 97.

[32]- **أبو القاسم خمار:** ظلال وأصداء، المصدر السابق، ص 94.

[33]- **عبد العالي رزاقي**: الحب في درجة الصفر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1977 ص 23.

[34]- **المصدر السابق، ص 58.**

[35]- **عبد العالي رزاقي**: الحب في درجة الصفر، مصدر سابق، ص 97.